مادة النظم الإسلامية

خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام

إن الإسلام العظيم الذي اختاره الله صبغة للمؤمنين فيه من جوانب العظمة والرحمة واليسر ما لا يمكن حصره، وفي الجانب الاجتماعي منه خصائص عدة:

أولاً: أنه نظام رباني:

نظام رباني بكلياته وجزئياته قد شرع الله فيه للإنسان كل جوانب الخير وهو أعلم وأحكم فالذي أحكم الخلق وأتمه أنزل التشريع وأتمه: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}**.

وفي النظام الاجتماعي في الإسلام جاءت التوجيهات الإلهية والرعاية الربانية لكل جوانب حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة، قد سمع الله سبحانه مناجاة امرأة مؤمنة ومجادلتها في حاجة من حوائجها فكيف بحاجات المجتمع والأمة، ففي هذه النظام الاجتماعي تتجلى رحمة الله ويظهر لطفه بخلقه وفي الآيات القرآنية التي تبين القواعد والآداب الاجتماعية وغيرها تكتمل النعمة والمنة الإلهية على البشرية بالهداية لها في سبيل حياتها بعد نعمة الخلق والإكرام، وكم هي الخسارة للإنسانية إذا أبعدت عن هذه النعمة، وكم هي الشقاوة الاجتماعية والنفسية إذا أعرضت عن خالقها العالم بها واللطيف بها: **{أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** .

وذلك أن الناس فقراء إلى ربهم إلى فضله ورزقه وإلى هديه وشرعه، فلا غنى لنا عن رزقه ولا غنى لنا عن شرعه وهديه، وفي اتباع هديه سعادة الدنيا والآخرة وفي الاستمتاع برزقه تنعم في الدنيا لا يتم إلا باتباع هديه الذي يحقق الغاية التي من أجلها خلقنا وبها كرامتنا.

ثانياً: أنه نظام تعبدي:

تتم فيه الأعمال الصالحة استجابة لأمر الله وتكون فيه المبادرة إلى الإحسان لوجه الله تعالى: **{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ}** ولا تكون مبادلة المنافع المادية العاجلة هي الدافع بل هي من فضل الله الذي يمتزج مع العبادة بمعناها الشامل، إن الإسلام لا يعد العبادة فيه مجرد إقامة الشعائر إنما هي الحياة كلها خاضعة لشريعة الله تبارك وتعالى: **{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}**، فالحياة بكل أنظمتها ونشاطاتها متوجهة إلى الله ومن ثم فإن كل خدمة اجتماعية وكل عمل من أعمال البر والصلة والخير عبادة لله سبحانه.

وفي هذه الخاصية يتحقق في النظام الاجتماعي لذة الاحتساب الذي يجدها كل مخلص، ويسعد بها كل تقي، وتكسب الأعمال سمو الأهداف فوق مطامع الدنيا المحدودة إلى ابتغاء الدار الآخرة وهي خير وأبقى، التعبد لله وحده لا شريك له يضفي على الأعمال الاجتماعية كلها روحاً لا تجدها في غير الإسلام، فلا تجد في الرأسمالية مكاناً للإحسان وهذه الخاصية تدعو إلى الاستمرار في العمل مهما كانت ردود الفعل عند المحسن إليهم فالمقاصد سامية ولا تقف عند حدود المجازات والمكافأة من البشر لأن المحسن يرجو ما هو أكبر مما عند البشر يرجو رضوان الله والجنة، فما أعظم الغايات وما أسمى النيات المتجهة إلى الله تعالى، وتلك هي الغاية العظيمة التي حددها الله سبحانه للحياة بكل جوانبها. وخاصية التعبد الذي يحقق الأمان في الدنيا بكل معانيه على النفس وعلى الدين وعلى الأموال وعلى العقول وعلى الأعراض وعلى كل ما يؤثر على المجتمع وعلى الأحياء.

ثالثا: أنه نظام متوازن:

فالنظام الاجتماعي في الإسلام تتوازن فيه حقوق المرأة وحقوق الرجل حقوق الفرد وحقوق الجماعة، وحقوق المجتمعات فيما بينها: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}**، تتوازن فيه متطلبات الإنسان العاطفية والعقلية وميوله ورغباته الجسدية والروحية فلا يطغى جانب على حساب جانب فتبارك الله رب العالمين الذي أنعم علينا بهذا التشريع الميسر والنظام الاجتماعي الكريم.

وكم وجدنا ورأينا في تجارب البشر من طغيان جانب على غيره ففي الرأسمالية يكدح العمال والمجتمع ليجني أصحاب رأس المال ويشقى الأكثر ليسعد الأقل، وفي ظل الشيوعية يكبت الفرد بدعوى مصلحة الجماعة وتحجب عنه معظم تطلعاته ويسحق في إرادته للجماعة وما الجماعة إلا الأفراد، فالنظام الاجتماعي في الإسلام نظام متوازن في مصالحه كلها فلا يسحق الفرد باسم الجماعة ولا تهدر مصالح الجماعة لمصلحة فرد أو حزب أو فئة، ومتوازن في متطلبات الإنسان الروحية والعقلية والجسمية فلا إهدار فيه ولا إفراط، ومن ذلك قول الله تعالى: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}**، وقول الله تعالى: **{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}**.

وغير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تمثل قواعد اجتماعية تحقق التوازن في الحياة الإنسانية، توازن متقن ولا غرابة في اتقان هذا التوازن وهو من عند خالق السماء التي لا ترى فيها نقصاً مهما أعدت النظر وكررته.

رابعاً: أنه نظام متكامل:

النظام الاجتماعي في الإسلام يقوم على التكامل بين الأفراد الذكر والأنثى كل له رسالة محددة يكمل بعضهم بعضاً. والناس بمجموعهم تقوم حياتهم على التكامل لا على الصراع، تقوم على أن يحب الفرد المسلم لأخيه ما يحب لنفسه فهم كالبنيان وكالجسد الواحد يكمل بعضهم بعضاً، الغني مع الفقير تقوم حياتهم على التكامل والتكافل لا على الحسد والتباغض والصراع الطبقي المقيت، الذي يظهر في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، وأيضاً التكامل في المهمات المتعددة والمواهب الإنسانية التي يكمل بعضها بعضاً، فلا يمكن للفرد أن يصنع لنفسه كل حاجاته ولكن الجماعة في الإسلام يتحقق في رحابها جميع معاني التكامل في الحياة والتكافل الذي يحقق مصالح الدنيا والآخرة.

والتكامل في هذا الجانب يميز النظام الاجتماعي في الإسلام ويحقق قوة الترابط بين أفراد المجتمع على أساس من التقوى التي تزكى علاقة المسلم بربه وتنمى علاقة المسلم بأخيه المسلم وبمجتمعه وأمته، ومن هذه الخاصية تتحقق الأخوة التي هي رابطة المؤمنين الوثيقة كما قال جل وعلا: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** والأخوة في الله هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيس المجتمع المسلم في المدينة المنورة، وهي الطريق الواضح لبناء المجتمع المسلم في المدينة المنورة وهي الطريق الواضح لبناء المجتمع المسلم في كل وقت وحين، الإخوة الإيمانية التي لا يعرف لذاتها إلا من عايشها ولا يعرف أبعادها إلا من سابق فيها كيف لا وهي تقوم على الحب في الله بجماله وعاطفته وبهائه مع سمو القصد فيه، الحب القائم على الإيمان بالله ما أجمله وما أصفاه.

خامساً: أنه نظام شامل ميسر:

النظام الاجتماعي في الإسلام نظام شامل لمصالح المسلم من خلقه جنيناً في بطن أمه إلى مماته وما بعد مماته، يحفظ الحق له ويرتب المصالح المتعددة بتناسق وتضافر، شامل في إحسانه لجميع جوانب الحياة وما خلق الله فيها من الكائنات ففي كل كبد رطبة أجر، شامل لكل الأحوال التي تطرأ في حياة الفرد والأسرة والمجتمع فلكل حال حكمها المناسب لها، سواء كان ذلك الشمول بنص مباشر من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو بقاعدة كلية من قواعد التشريع المعتبرة، شامل بروحه الميسرة وبعده عن الحرج ونماذج هذا الشمول كثيرة وواسعة نذكر منها الابتسامة المشرقة في وجه أخيك إلى الإيثار والتضحية بأكمل معانيها. نذكر منها إماطة الأذى عن الطريق إلى تحريم كل أذى من الغيبة والنميمة وغيرها من المؤثرات على الحياة الاجتماعية.

أهداف النظام الاجتماعي في الإسلام

بعد أن تعرفنا على خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام وأنه منهج رباني تعبدي متوازن متكامل شامل ميسر، قد جاءت فيه الأحكام لكل تفاصيل الحياة الأسرية والاجتماعية بأحوالها العادية وأحوالها الطارئة لابد من معرفة أهداف النظام الاجتماعي ومقاصده حتى تتضح الغايات العامة والغايات الخاصة من كليات هذا النظام وجزئياته وهي كما يلي:

أولاً: تحقيق السكن:

السكن النفسي والحسي، السكن بكل معانيها التي امتن الله بها فكان ذلك آية: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}، هذا السكن الذي لا يتحقق أبداً في العلاقات المحرمة الممزوجة دائماً بالخوف والقلق وسوء العاقبة فمشاعر الزناة والزواني متضاربة ساقطة ومشاعر الأزواج ساكنة منسجمة سامية، فالسكن الذي يلم شعث النفس ويحقق لها الاستقرار ويحقق لها الستر الكامل كستر اللباس للجسد، قال عز وجل: **{هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}**، حاجة النفس إلى الزواج كحاجتها إلى السكن واللباس الظاهر، وبدون نظام الإسلام تتحقق الفوضى الجنسية التي تسبب القتل غالباً وتسبب التشرد الأسري والاجتماعي فتعم الفوضى في الحياة كلها، وبهذا السكن يكمّل كل واحد من الزوجين الآخر ويكمل في شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر فالرجل لا يبلغ كماله الإنساني إلا في ظل الزواج وكذلك المرأة، فلا ريب أن الزواج فيه من سكينة النفس إلى شريك الحياة ما يعين على العفة والحصانة الخلقية وما يتفق مع الفطرة ويحصنها ويقيها من مزالق الشهوات والشبهات.

ثانياً: تحقيق المودة:

المودة التي تنمي في النفس مكارم الأخلاق، المودة التي تهيئ المحضن السليم لتربية الأجيال، المودة التي تصنع الأبطال. فمن الأسر المؤمنة والنساء الصالحات تخرج الأفذاذ في حضارة الإسلام الممتدة عبر الأزمان، وليس مثل الزواج والبناء في تحقيق هذه المودة بين الزوجين وبين العوائل وبين القبائل: **{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}** كما أن المودة بين جميع أفراد المجتمع المسلم هدف كريم كما قال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له

سائر الجسد)، المودة التي ينبثق منها السلام في الحياة والسلام مطلب مهم بانبساطه وانتشاره يتحرك الإنسان ويسعى في ابتغاء فضل الله وبانعدامه تضعف العلاقات.

ثالثاً: تحقيق الرحمة:

الرحمة التي تتعطش لها النفس، الرحمة التي كتبها الله على نفسه سبحانه، الرحمة التي جمل بها الحياة كلها حياة الإنسان وحياة الحيوان الرحمة التي اشتق منها الرحم الذي يتواصل به البشر الرحمة التي لا غنى للفرد عنها من أمه الحنون في طفولته وصغره إلى الرحمة له في شيخوخته وكبره من كل من حوله من أبنائه وبناته وأحفاده، ومن فقد الرحمة فقد حرم شيئاً لا يعوض عنه غيره، وتحقيق الرحمة بين المسلمين سبيل إلى رحمة الله الكبرى لهم يوم القيامة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن)، الرحمة التي تكون بين الزوجين وتتفرع بعد ذلك في أبنائهم وشئون حياتهم فمشاعر الزواج تورث الرحمة والحب وسمو النفس وحياة الضمير والقلب فهي مشاعر فياضة في العطاء والنماء، ومشاعر الأبوة والأمومة تورث الرحمة التي تفيض من الفطرة وتسقى الحياة كلها بالدفء والحنان للأجيال، يقول الحق تبارك وتعالى: **{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}**.

رابعاً: تحقيق الحق:

الحق الذي لا معنى للحياة بدونه – حق الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته وما جاء به وحق الوالدين ووصية الله فيهما، وحق الزوجة، وحق الزوج، وحق الأبناء، وحق ذوي القربى وحق الجار وحق المسكين وحق ابن السبيل وحق الصديق وحق الأخوة في الله لكل المؤمن وحق الضيف وحق كل

ذي حق والتواصي على الحق والصبر عليه {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، وقد شمل النظام الاجتماعي في الإسلام جميع جوانب الحق وحث على جميع الوسائل الموصلة إليه في ما لا يتسع المقام لبسطه هنا.

خامساً: تحقيق التكافل الاجتماعي:

من خلال اللبنات الأسرية ومن خلال العلاقات القوية يتكون المجتمع وأقوى رابط يربط هذه اللبنات هو التكافل والتعاون على البر كله وعلى الخير كله وعلى تحقيق غاية الخلق وهي تقوى الله وطاعته. فالتكافل الاجتماعي هدف في النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام به تقوى العلاقات وتنمو الحياة، فهناك تكافل بين الفرد وأسرته وبين الأسرة والأسرة غيرها وبين الأسرة والجماعة وتكافل بين الجماعات وتكافل بين الشعوب والأمم. وكل ذلك في جهد تعبدي يرتقى بالفرد والجماعة. فالفرد حارس لمصلحته ومصلحة الجماعة، والجماعة حريصة على كل المصالح العامة والخاصة فهم في سفينة واحدة، بل هم كالجسد الواحد، وقد جاءت تفصيلات ذلك مرتبة وموضحة في هذا النظام ومن ذلك أن الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل، الصائم النهار، ومظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام كثيرة لا يتسع المجال هنا لتفصيلها ولكن من ذلك ركن الإسلام الثالث الزكاة ومصارفها الثمانية والنفقة الواجبة للوالدين والزوجة والأبناء وحق ذوي القربى ورعاية الجار وإكرام الضيف وقد جاءت النصوص النبوية الكريمة مؤكدة على ذلك.

والتكافل في النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام منه ما هو فرض وواجب ومنه ما هو مستحب وكل صورة تسر الناظر وتبهج الخاطر وينطلق المسلم في رحابه وهو يحب لأخيه ما يحب لنفسه والجميع يجد نفع هذا التكافل الغني والفقير، الصغير

والكبير، الراعي والرعية وكل فرد مسؤول عن هذا التكافل وحريص عليه لما يرجوه من فضل الله الذي أعده للمحسنين.

ومنافع هذا التكافل تصل إلى الفقير والمسكين والمريض والأرملة واليتيم ومن في حكمهم وتصل أيضاً إلى الغني في حالات طارئة كسفر وغرم ونحوه كما أن أجر عمله وعطائه نعمة من الله عليه، وسلامة أمواله وسط مجتمع طاهر مترابط متحاب لا تكلف كما تكلف وسط مجتمع الجريمة والشحناء فما أروع الطهارة وما أجمل الأمن في مجتمع الإيمان والزكاة.

سادساً: التعارف:

وبعد تحقيق التكافل بين أعضاء المجتمع المسلم يهدف النظام الاجتماعي في الإسلام إلى التعارف بين الشعوب والقبائل ومد جسور التواصل النافع والتعاون على البر حتى مع من يخالف في الدين إذا رضي بذلك ولم يكد للإسلام والمسلمين: **{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}**، وذلك جزء من هدف التعارف الذي أراده الله سبحانه لبني البشر حيث قال جل وعلا: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** فليست هذه الشعوب والقبائل لتتفاخر وتتناكر وتتحارب وإنما لتتعارف وتتآلف، والكرامة لها عند الله بتقواها لا فضل لأبيض على أحمر ولا لعربي على عجمي ولا لغني على فقير وأول التقوى الإسلام لله وحده الذي ختم به رسالاته وهديه للبشر: **{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**، وأحد صور هذا التعارف تظهر في الحج ومنافعه العظيمة. قال أبو الأعلى المودودي: "لم يعرض نظام الإسلام الاجتماعي الذي يضع البشر

جميعاً على قدم سواء من حيث إنسانيتهم وبالتالي فهو يرتضى التمييز بينهم على أساس أمور لا دخل لهم بها ولا اختيار كالجنس واللون والوطن واللغة: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِير}**.

سابعاً: حفظ الضروريات الخمس:

يهدف النظام الاجتماعي في الإسلام إلى حفظ الضرورات التي تقوم عليها الحياة وهي خمس:

١ – الدين، وبه تستقيم علاقة الإنسان مع ربه وتتحقق به الغاية من وجوده.

٢ – العقل، وهو مناط التكليف ومحل التميز والتكريم.

٣ – النفس، وبها استمرار الحياة للغاية العظيمة التي أرادها الله سبحانه.

٤ – العرض والنسل، وبه تكاثر البشر وعفة وطهارة الأصل.

٥ – المال، وبه قوام الحياة والعون على أداء الواجبات والطاعات.

والنظام الاجتماعي إلى جانب النظام الاقتصادي والسياسي في الإسلام قد اعتبر المحافظة على هذه الضرورات وصيانتها وتحريم كل ما يؤثر عليها مقصد من مقاصد التشريع وهدفاً من أهدافه.